مكتبة التاريخ الوسيط
- ٥ -

شارلمان
و
الفتوحات الإسلامية لجزيرة كورسيكا

دكتور/ فايز نجيب إسكندر
أستاذ تاريخ العصور الوسطي
كلية الآداب - جامعة بنها

توزيع
المكتبة العلمية
شارع الثانوية - المنصورة

شارلمان
و
الفتوحات الإسلامية لجزيرة كورسيكا
في ضوء «حوليات ملوك الفرنجة»

دكتور/ فايز نجيب إسكندر

أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة بنها

المكتبة العلمية
شارع الثانوية - المنصورة

رقم الإيداع بدار الكتب :
٩٩/١١٤١٥

مقدمة

اتسمت المراجع التي تناولت موضوع الفتوحات الإسلامية الكبري بالكثرة التي لا حصر لها. والملاحظ أن الجديد في غالبيتها العظمي يكون معدوما، إضافة إلي عدم تغطيتها -رغم كثرتها- كافة المواضع التي حظيت بالفتوحات الإسلامية لشحة المادة التاريخية التي وردت في المصادر الاسلامية عن بعض تلك المواضع، وعدم إدراك الباحثين بوجود مادة تاريخية غزيرة بلغات أخري غير العربية. من هذا المنطلق، حرصت قدر استطاعتي تعقب خطي الفاتحين المسلمين الذين أذهلوا العالم آنذاك وإلي يومنا هذا، حتي أن المؤرخ الأرمني المعاصر جيفوند Ghevond - مؤرخ القرن الثاني الهجري/ القرن الثامن الميلادي- شبههم في مصدره «تاريخ حروب وفتوحات العرب في أرمينية» Histoire des Guerres et des Conquetes des Arabes en Armenie «بالحية الطائرة» لانطلاقهم في فتوحاتهم من موضع إلي آخر قفزاً في الهواء، وبسرعة فاقت الخيال.

ولقد حرصت في بعض أبحاثي تعقب خطي المسلمين ووصول فتوحاتهم إلي مواضع مجهولة لم يرد عنها إلا أسطر أو صفحة من الصفحات. ويرجع هذه الشحة في المعلومات الواردة في المراجع العربية إلي اعتمادها علي المصادر الإسلامية متجاهلة التنقيب عن المادة التاريخية الواردة في المصادر الأجنبية والتي تتطلب إتقان اللغات، وما أصعب ذلك علي معظم الباحثين. من هذا المنطلق عكفت علي إعداد كتب وأبحاث علمية تغطي هذا العجز قدر الاستطاعة، فأفردت كتاباً بعنوان «الفتوحات الإسلامية لأرمينية» في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني جيفوند (٦٣٢-٦٦١م/١١-٤٠ هـ).

تناول الجزء الأول تمحيص أربع عشرة صفحة من مصنف جيفوند مع دراسة تحليلية نقدية مقارنة بكافة المصادر من إسلامية وأرمنية وبيزنطية وسريانية ولاتينية، وغطي هذا الجزء عصر الخلفاء الراشدين، وسيتلوه -بإذن الله- العصر الأموي ثم العباسي. أما الكتاب الثاني فكان بعنوان «المسلمون والبيزنطيون والأرمن» في ضوء كتابات

المؤرخ الأرمني المعاصر سبيوس» صفحة مشرقة من تاريخ الفتوحات الإسلامية. وسبيوس Sebeos هذا هو المؤرخ الوحيد المعاصر للفتوحات الإسلامية، إذ كان شاهد عيان لأحداث القرن الأول الهجري/القرن السابع الميلادي، فسرد أحداثها في مصدره «تاريخ هرقل» Histoire d'Heraclius؛ وبالتالي فاقت روايته ماورد في كافة المصادر التاريخية المتأخرة التي تناولت تلك الأحداث. لذا اتسم مصنفه بالأهمية البالغة، فكان مصدرا ثمينا لخلفائه، فانقض عليه المؤرخون الأرمن انقضاضاً لينقلوا عنه المادة التاريخية الثمينة التي لم يعاصروا أحداثها، مما يؤكد أن روايته كانت مصدر ثقتهم.

والجدير بالذكر أن اشتغالي بالبحث في الفتوحات الإسلامية لأرمينية والتنقيب في مصادرها- التي صورت غالبيتها الساحقة أثناء وجودي في باريس - كان فاتحة طيبة لكي أفرد كتاباً غريباً في عنوانه وفريداً في موضوعه تناول «الفتوحات الإسلامية لبلاد الكُرْج (= جمهورية جورجيا) حتى أواخر القرن الثاني الهجري/أواخر القرن الثامن الميلادي. ويعد تاريخ الكرج عامة، والفتوحات الإسلامية لتلك الأصقاع النائية خاصة من الصفحات المجهولة تماماً في المكتبة العربية، وسبب ذلك شحة المادة التاريخية الواردة عن بلاد الكرج في المصادر الإسلامية، وغزارتها في المصادر الأجنبية التي يصعب على الباحثين فك طلاسمها. لذا كان من الصعب عليّ كتابة الصفحات الأولى لهذا البحث، بل وتعريب خريطة لبلاد الكرج -كما كان حال تعريب خريطة لجزيرة كورسيكا الواردة في هذا البحث -ورغم صعوبة البحث في تاريخ بلاد الكرج، فقد أقدمت على بحث ثان بعنوان «الكُرْج والأتراك السلاجقة في عهد داوود الثاني» (٤٨٢-٥١٨ هـ/١٠٨٩-١١٢٥م) نشر في العدد الأول من مجلة المؤرخ العربي، التي تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة -مارس ١٩٩٣، ص٢٥١-٣٢٥.

ويأتي في النهاية، البحث الذي بين يدي القراء الأفاضل وعنوانه «شارلمان والفتوحات الإسلامية لجزيرة كورسيكا» في ضوء حوليات ملوك الفرنجة Annales Regni Francorum. ويرجع الفضل في إعداد هذا البحث المتواضع والجديد إلى الله

سبحانه وتعالي، ثم إلي عثوري علي «مجموعة مؤرخي بلاد الغال وفرنسا» Recueil des Historiens des Gaules et de la France الموجودة آنذاك في مكتبة جامعة الإسكندرية دون غيرها من كافة المكتبات علي مستوي العالم العربي؛ فعكفت علي تفحص كافة المصادر الأجنبية الواردة في تلك الموسوعة الوثائقية لأتتبع خطي المسلمين ومساعيهم لفتح تلك الجزيرة، هادفين من ذلك جعلها قاعدة عسكرية إسلامية ينطلقون منها لفتح ربوع أوربا ونشر الإسلام الذي كان سينتشل الأوربيين من التخلف آنذاك ويدخلهم في عصر نهضة مبكرة:

والله أسأل أن أكون وفقت فيما ذهبت إليه ، ، ،

والله ولي التوفيق ، ، ،

الإسكندرية في ٢٧ أغسطس ١٩٩٩م

فايز نجيب إسكندر

شارلمان
والفتوحات الإسلامية لجزيرة كورسيكا (*)
في ضوء «حوليات ملوك الفرنجة»

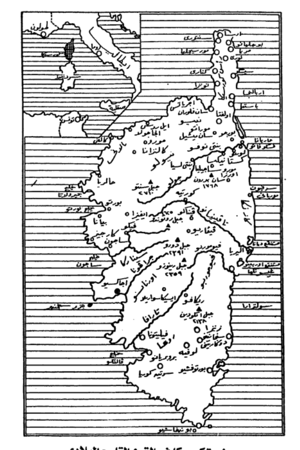
من أبرز أحداث القرن السابع الميلادي/القرن الأول الهجري ظهور المسلمين، وما صاحب ذلك من فتوحات مترامية الأطراف. إذ تمكن المسلمون من الخروج من صحرائهم يحملون رسالة الدين الجديد، ويطرقون بها أبواب الامبراطوريتين المجاورتين الفارسية شرقاً، والبيزنطية غرباً، فقضوا علي الأولي نهائياً وورثوا ملكها، وأحالوه جزءاً من الدولة الإسلامية الجديدة، واقتطعوا من الثانية أهم أجزائها المطلة علي البحر المتوسط في الشام ومصر وشمال أفريقيا، ثم عبروا المضيق إلي أوربا ففتحوا الأندلس، وتقدموا شمالاً إلي أن وقفت جيوشهم عند جبال البرانس.

وخلال القرون الثلاثة الأولي للهجرة، رسخت أقدامهم في هذه البلاد المطلة علي البحر المتوسط، وأدركوا ماله من أهمية في الدفاع عن ممتلكاتهم. وفي محاولة بسط نفوذهم علي مابقي من شواطئه جنوبي أوربا، بنوا دور الصناعة، وأنشأوا الأساطيل، واستعانوا بها علي الاستيلاء علي الجزر المتناثرة في البحر المتوسط يتخذونها قواعد للهجوم علي السواحل الجنوبية لأوربا، فضموا إليهم جزيرتي صقلية وكريت، وتوالت غاراتهم الدائبة علي شواطئ إيطاليا، وعلي جزر البليار وسردانية وقبرص وكورسيكا.

ويهمنا في هذا الصدد، إلقاء نظرة سريعة عابرة علي تاريخ جزيرة كورسيكا في فترة ماقبل محاولات المسلمين بسط سيادتهم عليها.

فجزيرة كورسيكا يبلغ طولها مائتين وأربعين كيلو متراً، أما عرضها فيصل إلي تسعين كيلو متراً تقريباً، أطلق عليها قديماً اسم «جزيرة ثيرينيه» Therapne، وعرفت عند اليونانيين باسم «جزيرة كيرونوس» Kurnos إلا أنهم لقبوها بـ «كالستي» Kalliste

(*) بحث ألقي في الندوة العلمية الرابعة التي أقامها قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة القاهرة خلال المدة من ٣-٥ مارس، وكان موضوع الندوة «المسلمون في أوربا».



جزيرة كوسيكا في القرن التاسع الميلادى

أي «جزيرة الجمال». وتحيط بكورسيكا العديد من الجزر التابعة لها، أهمها جزر «جيراجليا» Giraglia «ودل كافللو» Del Cavallo، و«سنجوينير»Sanguinaires.
وتقطع الجزيرة من الشمال إلى الجنوب سلسلة من الجبال الشاهقة أكثرها ارتفاعاً «جبل سنتو» Monte Cinto، إذ يبلغ ارتفاعه ألفين وسبعمائة وعشرة متراً. ومن أهم أنهارها نهر «ليامون» Liamone، ونهر «تافينيانو» Tavignano ونهر«جولو» Golo.
وتمتاز الجزيرة بمناخ معتدل وصحي[1].

استعمر الفينيقيون جزيرة كورسيكا في النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد[2]، ثم نجح الفوكيون Phoceens في بسط سيادتهم عليها[3]، وأسسوا مدينة أليريا Aleria الواقعة في الجزء الأوسط من شرق الجزيرة - عاصمة لهم. كان ذلك حوالي سنة ٥٤٠ ق.م[4]، ثم خضعت الجزيرة للقرطاجنيين سنة ٥٣٥ ق.م حيث أسسوا بها العديد من المراكز التجارية[5] إلى أن تمكن الرومان سنة ٢٥٩ ق.م من الإستيلاء عليها[6].

(١) للتفاصيل عن جغرافية وطبوغرافية الجزيرة أنظر: Rondeau, A., La Corse, Colin, 1964, P.9 sqq; Ambrosi, A., Histoire des Corses et de Leur Civilisation, Bastia, 1914, P.12 sqq; Antonetti, P., Histoire de la Corse, Paris, 1973, P.33, sqq; Sedillot, R. La Grande Aventure, Des Corses, Paris, 1969, P.15 sqq.

(٢) للتفاصيل أنظر: Antonetti, P. 62-63; Sedillot, P. 17-18

(٣) للتفاصيل أنظر: Antonetti, P. 63-65; Sedillot, P. 18-19
Jehasse, J.; Histoire de la Corse, Paris, 1971, P. 90-96

(٤) عن العاصمة أليريا أنظر: Jehasse, Aleria Greeque et Romaine, dans revue d'Etudes Corses, 1961, P.29-42; Antonetti, P. 65-71, Sedillot, P.19-20 et 30-33.

(٥) Antonetti, P.72; Sedillot, P. 21-22; Mansuelli, G. A., Les Civilisations de l'Europe Ancienne, Paris, 1967, P. 177-178.

(٦) Liliu, G., La Sardaigne, Paris, 1969 P. 88-95; Antonetti, P. 72; Sedillot, P. 25-26.

وفي ظل السيادة الرومانية ، إندلعت الثورات المتلاحقة في ربوع كورسيكا، كان من أهمها ثورة سنة ١٦٣ ق.م، تلك الثورة التي تمكن القائد الروماني «جوفنتيوس ثالما» Juventius Thalma من إخمارها بصعوبة بالغة[٧]. وبعد ذلك خضعت الجزيرة للسيادة البيزنطية[٨]، ثم احتلها الوندال في أوائل القرن الخامس الميلادي[٩]، وخضعت للقوط بين أعوام ٥٤٩ و٥٥٢م[١٠]، إلى أن تمكن بلزاريوس Belisaire -قائد جستنيان- من احتلالها دون كبير عناء[١١]؛ ثم كان الغزو اللومباردي لها وذلك سنة ٧٢٥م[١٢]، وانتهى بها المطاف أن تمكن شارلمان من إخضاعها لسيادته، ثم عين ابنه «ببين» Pepin ملكاً عليها، كان ذلك سنة ٨٠٦م[١٣]. وكان على ببين- وبتعضيد من والده شارلمان- أن يواجه حملات المسلمين المتعاقبة على كورسيكا، وهذا ما سنتناوله بإفاضة في الصفحات التالية.

والجدير بالملاحظة أن كافة المصادر التاريخية الإسلامية أغفلت ذكر أخبار الفتوحات الإسلامية لجزيرة كورسيكا. ويبدو أن عدم الاهتمام بهذه الأخبار مرجعه أنها

---

(٧) Baudouin-Albergnie, J., La Corse Dans les Textes Latins, Aix, 1967, P. 75-102, Antonetti, P.73-90; Jehasse, Histoire de la Corse, P. 36-53; Albitreccia, A., La Corse dans L'Histoire, Paris, 1939, P.94; Sedillot, P.26-36.

(٨) Antonetti, P. 93-94; Sedillot, P. 37-46

(٩) Pierre Riche, Le Invasions Barbares, Paris, 1968, P. 51, Antonetti, P.95-96, Sedillot, P. 41-43.

(١٠) Antonetti, P. 94-95.

(١١) Antonetti, P. 96-98; Sedillot, P. 43-46; Baudouin- Albergnie, P.205-206; Chelini, J., Histoire Religieuse de l'Occident Medieval, Paris, 1968, P. 60-62

(١٢) Antonetti, P. 103 ; Sedillot, P. 46-48

(١٣) Annales Francorum Fuldenses, Dans Recueil des Historiens des Gaules et de la France, t. V, Dom Bouquet, P. 333, (R.H.G.F. وسنشير إلى هذه المجموعة بـ) ; Capitularia Regum Francorum, Hanovre, 1897, t.I, No.45, P.126-130, Preambule et Article, 1 a 3.

لم تؤثر علي تطورات الأحداث تأثيراً كبيراً، أضف إلي ذلك أنها لم تؤد إلي توسيع رقعة الفتوحات الإسلامية.

أما عن مصادر الجغرافيين المسلمين، فقد كان «كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار» لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥) أهمها علي الإطلاق، إذ خصص في حديثه عن كورسيكا أسطراً لا تتعدي أصابع اليد الواحدة، والملاحظ أنه أوردها علي شكل «قُرْسُقَة» وقال عنها إنها جزيرة للنصاري تقابل مدينة روما، قريبة من سردانية، بينها وبين ساحل إفريقية نصف يوم بحراً، بينما بينها وبين ساحل تونس -أربعة أيام. وذكر الحميري أن الجزيرة كانت خاضعة للرومان، وأن المسلمين قاموا بتخريبها، إشارة منه إلي الحملات التي سنتحدث عن تفاصيلها. كذلك أشاد بأنها جزيرة عامرة، لها مراسي ومشاتي كثيرة، وذكر من مراسيها مرسي البوالص ومرسي الزيتونة؛ وقال إن بها زوايا كثيرة، وجبالا داخلة في البحر. وألمح أيضا إلي أنها كثيرة الخير وافرة النعم، وأنها خضعت للمسلمين أيام عبد الرحمن بن الحكم(١٤) (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م).

أما الادريسي (ت ٥٥٨هـ/١١٦١م) في كتابة «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» فلم يأت بجديد، بل جنح إلي الإيجاز الشديد. فقد أوردها في مصدره علي شكل «قُرشُقَة» وليس «قرسقة»، كما في الحميري، وانفرد بذكر أن «أهلها يتجولون في أرض الروم وهم أكثر الروم سفراً»(١٥) إشارة منه إلي حب الكورسيكيين للتجارة وكثرة أسفارهم.

وأخيراً ذكرها «ابن سعيد المغربي» في كتابه «الجغرافيا» إذ أوردها علي شكل «قُرْسُقَة» كما في الحميري، وقال عنها إنها تقع شمال جزيرة سردانية، مقابلة لجنوة ،

---

(١٤) الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس - بيروت ١٩٧٥، ص٤٥٥.

(١٥) الإدريسي : كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية - الظاهر - القاهرة - المجلد الثاني، ص٥٨٤.

طولها من الشمال إلي الجنوب مجري ونصف، والضيق لجهة جنوة والوسع في الوسط قدره ستون ميلا والمجاز بينها وبين سردانية نحو عشرة أميال، وفي شرقها جزيرة صقلية[١٦].

هذا عن جزيرة كورسيكا في المصادر الجغرافية الإسلامية، أما عن حملات المسلمين المبكرة علي تلك الجزيرة، فقد زعم المؤرخ الكورسيكي بيترو سرنيو Pietro Cirneo- وهو من مؤرخي القرن الخامس عشر الميلادي- زعم في مصدره «صدي الحروب الكورسيكية» De Rebus Corsicis أن المسلمين فتحوا الجزيرة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وانهم استقروا وأقاموا فيها حتي عهد شارلمان[١٧] (٧٦٨-٨١٤م/ ١٥١-١٩٩هـ). إلا أن روايته هذه من محض خياله ولا تتفق مع مجري أحداث الفتوحات الاسلامية المبكرة.

هذا بينما تذكر المصادر التاريخية اللاتينية إشارة عابرة عن حملة المسلمين الأولي علي كورسيكا وذلك تحت أحداث سنة ٧١٠م/٩٢هـ[١٨]. إلا أن خليفة بن خياط انفرد دون غيره من المصادر الإسلامية بالإشارة في سطر واحد إلي حملة قام بها مسلمو افريقية بقيادة محمد بن أبي بكر علي جزيرتي كورسيكا وسردانية. فتحت أحداث سنة ست ومائة أورد في تاريخه «وفيها أغزي بشر بن صفوان وهو علي افريقية محمد بن أبي بكر مولي بني جمح فأصاب قرسقة وسردانية »[١٩].

والجدير بالتسجيل هنا أن المصادر الإسلامية أهملت إهمالاً تاماً أخبار محاولات المسلمين فتح الجزيرة، بينما زودتنا المصادر اللاتينية والفرنسية القديمة بتفاصيلها. وكانت أهم هذه المصادر وأكثرها غزارة «حوليات ملوك الفرنجة» Annales Regni

(١٦) ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا - تحقيق اسماعيل العربي - الجزائر - ١٩٨٢، ص١٦٨.

(١٧) Pietro Cirneo, De Rebus Corsicis, ED, Gregory, Paris, 1834, P.15

(١٨) Chronique De l'Abbaye de Moissac, dans R.H.G.F., t.III, P. 640

(١٩) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط - تحقيق أكرم ضياء العمري - بغداد ١٩٧٧، ص٣٣٦.

Francorum وعنها نقلت معظم المصادر الأجنبية الأخري. ولحسن الحظ أن هذه المصادر جميعها نشرت في «مجموعة مؤرخي بلاد الغال وفرنسا» Recueil des Historiens des Gaules et de la France الموجودة كاملة في مكتبة جامعة الاسكندرية ، والتي اعتمدنا عليها في إعداد بحثنا هذا اعتماداً كلياً.

علي أية حال، يبدو أن المسلمين استهدفوا من فتح جزيرة كورسيكا تحويلها إلي جسر متقدم، خصيصا لتسهيل الغارات التي كان يقوم بها الأسطول الإسلامي علي ضفاف خليج الأسد وخليج جنوة، وكذلك علي ساحل تسكانيا واللاسيوم. والملاحظ أن الغزوات التي شنها المسلمون علي جزر البليار وسردانية، قد اقترنت بغزو جزيرة كورسيكا. وكان من بين نتائج هذه الإغارات أن استنجد أهالي هذه الجزر بشارلمان، ووضعوا أنفسهم تحت حمايته، بسبب كثرة نشاط المجاهدين المسلمين من أندلسيين وأفارقة[٢٠].

وكانت السياسة الخارجية الجديدة التي استنها الحكام الكارولنجيون قائمة علي الدفاع عن المسيحية والمسيحيين في مواجهة الزحف الإسلامي. ووفقا لرأي لوي هلفان Louis Halphen في كتابه «شارلمان والامبراطورية الكارولنجية» Charlemagne et l'Empire Carolingien فإن شارلمان أخذ علي عاتقه بحق القيام بحرب هدفها حماية المسيحيين من إغارات المسلمين[٢١]. ولقد أوضح ذلك بجلاء في خطاب أرسله إلي البابا ليون الثالث[٢٢] Leon III (٧٩٥-٨١٦م/١٧٩-٢٠١هـ) وذلك سنة ٧٩٦م/١٨٠هـ جاء فيه أن سياسته قائمة علي «حماية العالم المسيحي

(٢٠) Annales Francorum, Dans R.H.G.F., t.V, P.51

(٢١) Halphen, L., Charlemagne et L'Empire Carolingien, Paris, 1968, P.113

(٢٢) عن البابا ليون الثالث أنظر: Liber Pontificalis, Publ. Par L. Duchesne, Paris, 1886-1892, t.II, P.1-35, CF. Bayet, Ch., L'Election de Leon III, Lyon, 1883, P.173-197.

من غزوات الوثنيين وإغارات المسلمين والتبشير بالمسيحية في كافة ربوع العالم....»(٢٣).

وبذلك أصبح شارلمان - علي حد قول رينيه سيديو Rene Sedillot في كتابه «مغامرة لكورسيكن الكبرى» La Grande Aventure des Corses - الشرطي المدافع عن أمن وأمان الغرب الأوربي والمسيحية وزعيمها الديني بابا روما، والحاكم المسئول عن مواجهة التهديدات الاسلامية المتلاحقة لجنوب أوربا وغربي البحر المتوسط(٢٤).

تحقيقاً لمخططاته الدفاعية هذه، أقام شارلمان مركزين بحريين هامين غربي البحر المتوسط، أحدهما علي طول ساحل ولاية الحدود الأسبانية حيث استولي علي طرطوشة وبرشلونة. أما الثاني، فعلي طول الساحل الشمالي الغربي لايطاليا. وحول عامي ٨٠٦ و ٨٠٧م كانت هناك قوات بحرية ذات قيمة علي طول ساحل ليجوريا وتسكانيا، تكفي قادة شارلمان للتصارع بها علي السيطرة في المياه الإيطالية وغربي البحر المتوسط ضد منافسيهم مسلمي الأندلس وإفريقية(٢٥).

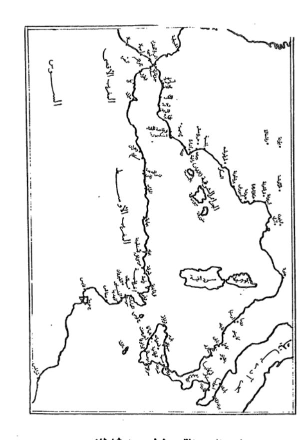
وفي غضون ذلك، أخذت قوة الإسلام البحرية تزداد وتنبسط في غربي البحر المتوسط بسبب رغبة المسلمين في إنشاء الأساطيل في موانئ الأندلس وإفريقية. فمنذ سنة ٧٧٣م/١٥٧هـ أنشأ عبد الرحمن الأول (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م) دوراً للصناعة في موانئ «طركونة» Tarragone «وطرطوشة» Tortose وقرطاجنة الأندلس

---

(٢٣) Alcuin, Correspondance, Publ. Par E. Dummler Au t. IV des Epistolae, Lettre, No.93, CF. Tessier, La Correspondance de Charlemagne, Lettre Au Pape Leon III, P.385.

(٢٤) Sedillot, P. 50

(٢٥) Vita Caroli, Trad. de Halphen, Paris, 1912, P.53



غرب البحر المتوسط في عهد شارلمان

Carthagene «واشبيلية» Seville «والمرية» Almerie وغيرها. كذلك بني أمراء إفريقية أساطيلهم في تونس وسوسة[٢٦].

وإذا انتقلنا إلي الامبراطورية البيزنطية، فقد بدأ موقفها يتغير منذ أوائل القرن التاسع الميلادي، إذ أخذت تهمل شأن قوتها البحرية، وربما رجع ذلك إلي أوائل عهد الامبرأطورة إيرين Irene (٧٩٧-٨٠٢م/١٨١-١٨٦هـ)، وإن لم تظهر آثاره بصفة واضحة إلا في نهاية عهدها. ثم جاء خليفتها نقفور Nicephore (٨٠٢-٨١١م/ ١٨٦-١٩٦هـ) فوجد البحرية البيزنطية في حالة سيئة للغاية[٢٧].

ولقد بدأ القرن التاسع الميلادي في الحوض الغربي من البحر المتوسط بهجوم جديد كبير الحجم قامت به البحريات الإسلامية علي السواحل المسيحية، ولم تنج منه جزيرة كورسيكا. وأدت هذه الإغارات إلي نتائج ملموسة تمثلت في تنسيق جهود شارلمان لصد هجمات المسلمين.

كذلك بدأت امبراطورية شارلمان تشعر بتهديد النورمان أيضاً، لذلك بذلت جهداً ضخماً لبناء أسطول بحري لحراسة السواحل، فبعد أن أشار اينهارد Eginhard كاتب «سيرة الامبراطور شارلمان» Vita Coroli Imperatoris إلي التدابير المتخذة ضد النورمان، ذكر أن شارلمان اتخذ نفس التدابير ضد المغاربة الذين بدأوا القرصنة بدورهم. وكانت النتيجة أن نجت ايطاليا في عهده من كل ضرر خطير تسبب فيه المسلمون[٢٨].

---

(٢٦) Reinaud, M., Invasions des Sarratins en France, Paris, 1964, P.120-121; Senac, Musulmans et Sarrasins, P.96.
وقد أبدي الأستاذ الدكتور عبد العزيز سالم- أستاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية- ملاحظة علي هذه الفقرة، إذ ذكر أن الأسطول الأندلسي لم يكن له وجود آنذاك. وهذا يتنافي مع كافة المصادر والمراجع الأجنبية التي استندنا عليها في بحثنا، بعد أن أغفلت المصادر الاسلامية ذكر هذه الأحداث كما سبق أن ذكرنا في المتن.

(٢٧) أرشيبالد لويس: القوي البحرية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسي، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٦٢.

(٢٨) Vita Caroli, P. 53.

ولقد عانت جزيرة كورسيكا من الهجمات البحرية الاسلامية المنظمة والمتعاقبة وذلك في المدة بين ٨٠٦ إلي ٨١٣م من عهد شارلمان.

فتحت أحداث سنة ٨٠٦م/ ١٩٠هـ أوردت «حوليات ملوك الفرنجة» أخبار أول إغارة قام بها الأسطول الاندلسي علي جزيرة كورسيكا في عهد شارلمان، إذ تمكن المسلمون آنئاك من اجتياحها والاستقرار فيها. إزاء ذلك، أعد «ببين Pepin»، الذي عهد إليه والده شارلمان بحكم ايطاليا (٨٠٦- ٨١٠م) وعينه ملكا عليها سنة ٨٠٦م، أعد أسطولاً أبحر من الشواطئ الإيطالية لإرغام المسلمين علي الانسحاب من الجزيرة. فلما شعر المسلمون بدنو أسطول الملك «ببين»، أسرعوا بالانسحاب عائدين إلي مراكزهم . حينئذ طمع فيهم «هادومر» Hadumar كونت جنوة، إذ انتهز فرصة انسحابهم وتعقبهم بأسطوله. ولما أحس الأندلسيون بذلك، حولوا سفنهم لمواجهة أسطوله فثبتوا له، واشتبك أسطول المسلمين مع الأسطول الجنوي في موقعة بحرية اشتد فيها القتال، إلا أنها انتهت بهزيمة الأسطول الجنوي وقتل «هادومر» كونت جنوة، وأصاب المسلمون مغانم كثيرة، واستولوا علي كثير من الأسري بيعوا في أسواق الأندلس (٢٩). وفي

---

(٢٩) عن هذه الأحداث ورد في «حوليات ملوك الفرنجة»:

"Eodem Anno in Corsicam Insulam Contra Mauros, Qui Eam Vastabant, Classis de Italia a Pippino Missa Est. Cujus Adventum Mauri Non Expectantes Abscesserunt: Unus Tamen Nostrorum Hadumarus Comes Civitatis Genuae Imprudenter Contra Eos Dimicans Occisus Est."

أنظر: Annales Regni Francorum, Dans R.H.G.F. t.V, P. 25

أما «حوليات سان دنيه» المنشورة باللغة الفرنسية القديمة في «مجموعة مؤرخي بلاد الغال وفرنسا» فقد تشابهت تشابهاً يكاد يكون تاماً مع «حوليات ملوك الفرنجة» إذ ورد فيها: "En Celle Annee Envoia Pepin Li Rois de Lombardie, Contre Les Mors en L'ile de Corse,Qui Souvent Destruisoient Celle Contree Aussi Comme Par Acoustumance, Mais il ne L'atendirent pas : Aniz s'en Retournerent Quand il Sorent Que Celle Navie Venoit. Hadumares li Cuens de la cite de Genes, Fu Occiz, Pour ce Que il se Combati Contr'Eulz Trop Folement"==

طريق عـودتهم إلي بلادهم، هاجم المسلمـون جزيرة «بنتـلاريا» (٣٠) Pantellaria الصغيرة حيث اختطفوا منها ستين راهباً باعوهم في أسواق النخاسة في الأندلس، وبلغ ذلك شارلمان، ففكهم من الأسر بفدية أداها عنهم (٣١).

= أنـــظـــر : Chronicques de Saint Dennis, les Gestes de Grant Roy Charlemaine, Dans R.H.G.F., t.V, p.253.

وعن أحداث هذه الحملة في المصادر اللاتينية المختلفة أنظر : R.H.G.F., t.V.P.LXXVij 25.D.253.C., 333.B.353.D, 366.A.

وتأكيـداً لما ذهبنا إليـه من وجود تشـابه واضح بين كـافـة المصادر اللاتينيـة المعاصـرة الواردة في «مجموعة مؤرخي بلاد الغال وفرنسا» وحوليات ملوك الفرنجة» التي هي الأساس، حتي أن اينهارد كاتب «سيرة شارلمان» نقل عنها الكثير، رأينا ذكر النص الآتي الوارد في «Annales Fran-corm Fuldenses, P.333.B.» الذي سبق الاشارة إليه في السطور السابقة مباشرة جاء في هذا النص مـايلي : "In Corsicam Quoque Classis A Pipino Contra Mauros Missa Est, Cujus Adventum Mauri Non Expectantes, Abscesser ant.Hadumar Temen Civitatis Genuae Praefectus Contra Cosimprudenter Dimicans Occisus Est.

والجدير بالذكر أن «حوليات ملوك الفرنجة» تبدأ سردها التاريخي بأحداث سنة ٧٤١م وتنتهي بسنة ٨٢٩م. وتنقسم الحوليات إلي قسمين متميزين : الأول، يعالج الأحداث من سنة ٧٤١م إلي سنة ٧٨٨م أما الثاني، فيتناول الفترة من ٧٨٩م إلي سنة ٨٢٩م.

(٣٠) تقع جزيرة بنتلاريا بين المهدية وصقلية ، علي مسافة ثمانية عشر فرسخ شرقي رأس بون (= رأس آدار حاليا) . وردت في المصادر الاسلامية علي شكل جزيرة قوصرة، وعنها قال ابن سعيد: «وفي شرقي اقليبية علي ستين ميلا في البحر، جزيرة قوصرة، التي تجلب منها شريحة التين والقطن والمصطكي». أنظر : كتاب الجغرافيا، ص١٤٣-١٤٤؛ البغدادي: مراصد الاطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع، ج٣، ص١١٣٣. وقوصرة Cossyra اسم يوناني ، معناه السلة أو السـقط أو الزنبيل. وربما أطلق عليها هذا الإسم للتشابه الموجود بين شكل الجزيرة والسلة. و«قوصرة» في اللغة العربية هو وعاء التمر أو القفة والزنبيل. أنظر: حسن حسني عبد الوهاب: قصة قوصرة العربية – المجلة التاريخية المصرية ، اكتوبر ١٩٤٩م.

(٣١) عن هذه الأحداث ورد في : Chroniques de Saint Dennis, Dans, R.H.G.F., t. V., P.254.D.,

مايلي: "En Celle Annee Meismes Trouverent Fortune Contraire en Tous: les Lieux ou il Arriverent: Si Disoient- Il Meismes Entreulz Que ce Estoit Pour ce Que il Avoient en L'Annee Devant LX Moines (Pris en L'isle) de Pathalaire, et Vendus en Espaigne, Des Quiex Aucun Retournerent (Auis) en Leur Puis Par la Franchisse de L'Empereur de Puis"

أنظر أيضاً : "Annales Regni Francorum, Dans, R.H.G.F. t.V, P.56.E.

عقب هذه الهزيمة الساحقة التي مني بها الأسطول الجنوي، تدارك شارلمان خطورة الأسطول الأندلسي؛ فأعد في العام التالي، أي عام ٨٠٧م/١٩١هـ حملة بحرية ضخمة أسند قيادتها إلي قائده «بورشار» Burchard . وأصدر أوامره إليه بالإبحار إلي جزيرة كورسيكا للدفاع عنها ضد إغارات مسلمي الأندلس. وتذكر «حوليات ملوك الفرنجة» أن المسلمين هدفوا من إغاراتهم المتكررة هذه، فتح جزيرة كورسيكا وإخضاعها للسيادة الاسلامية. فقد اعتادوا منذ سنوات عدة علي تكرار محاولاتهم هذه، حتي يتمكنوا من جعل الجزيرة بفضل موقعها الاستراتيجي الهام- مركز ارتكاز لتوسيع فتوحاتهم لتشمل ايطاليا وبلاد الغال وذلك لموقعها المتوسط بينهما، وكذلك لتأمين الأندلس من أي غزو أجنبي.

علي أية حال، أبحر الأسطول الأندلسي من الشواطئ الأندلسية متجها صوب جزيرة سردانية، حيث أرست سفن المسلمين فيها. لكن سكان الجزيرة تصدوا لهم وأرغموهم علي الخروج منها، وفقد المسلمون في هذه المعركة ثلاثة آلاف قتيل علي حد قول «حوليات ملوك الفرنجة» الذي يعد المصدر الوحيد الذي انفرد بذكر تفاصيل هذه الحملة دون غيره من المصادر اللاتينية والإسلامية علي حد سواء.

بعد هذه الهزيمة التي لحقت بمسلمي الأندلس علي يد سكان جزيرة سردانية، اتجه الأسطول الاندلسي صوب جزيرة كورسيكا ليثأر من هزيمته السابقة. وكان علي المسلمين خوض غمار معركة بحرية ضارية في إحدي موانئ هذه الجزيرة الصغيرة. وهكذا بدأت الجولة الثانية باندلاع القتال بين الأسطول الأندلسي وأسطول بورشار قائد جيش شارلمان، والذي سبق أن سجل نصراً في الجولة الأولي. في هذا الصراع الضاري، باغت الأسطول الكارولنجي أسطول مسلمي الأندلس، وأجبر سفنه علي الانسحاب بعد أن نجح بورشار في الحاق هزيمة بحرية ثانية بالمسلمين. وكان من نتائج هذه المعركة أن فقد المسلمون ثلاث عشرة سفينة، واستشهد أعداد لا حصر لها من مقاتليهم. واعتبرت

تحقيقاً لآمالهم في فتح الجزيرة، فجندوا المقاتلين من كافة ربوع الأندلس. وبعد إتمام كافة الاستعدادات الحربية، أبحر الأسطول الأندلسي إلي سردانية، ومنها إلي جزيرة كورسيكا؛ فوجدها المسلمون بلا حصانة ولا دفاع، ضعيفة في استحكاماتها، فنجحوا في فتحها دون مقاومة تذكر. وهكذا خضعت الجزيرة بكاملها –وللمرة الثانية– للسيادة الإسلامية. ومع ذلك، فقد تمكن بيبن ملك ايطاليا من إجلائهم عنها في نفس العام[٣٦].

نتيجة هذه الإغارات البحرية الإسلامية المتلاحقة، أدرك شارلمان بثاقب بصره وبصيرته ماقد تنطوي عليه من أخطار وتهديد لوحدة الامبراطورية الكارولنجية. لذا أصدر أوامره سنة ٨١٠م/١٩٥هـ إلي جميع الكونتات وحكام الولايات بأن يقوم كل واحد منهم ببناء الأبراج والحصون في بلده عند مصب النهر الذي يعتبر منفذاً سهل اختراقه من قبل الأساطيل الإسلامية. كذلك حث علي بقاء سفن الأسطول الكارولنجي علي أهبة الاستعداد في الموانئ الرئيسية، حتي تتمكن من صد كافة الهجمات المرتقبة من قبل الأساطيل الإسلامية ومطاردتها[٣٧].

ومع ذلك، فإن الطرفين المتصارعين سئما في نهاية الأمر من المساجلات البحرية المستمرة والتي أحدثت أضراراً كبيرة بكليهما، فكان الطرفان يرغبان في عقد هدنة بينهما. وهذه هي المرة الأولي التي تتحدث فيها المصادر اللاتينية والفرنسية القديمة

(٣٦) Annales Regni Francorum, P.59.A., Chroniques de Saint Dennis, P.258.A., Annales Francorum Mettenses, P.356. B., Index Chronologicns, Seu Annales Galici et Francici in Quinbus, Temporum, P. LXXVJ.

وقد ورد في هذا المصدر الآتي:

Mauri, Classe Comparata, Primo Sardiniam, Deinde Corsicam Insulam Petunt, In Qua Nullo Invento Proesidio, Totam Subigunt.

(٣٧) Vita (A) Et Conversatio Gloriosissimi Imperatoris Karoli Regis Magni, Dans, R.H.G.F., t.V. P.96.

المصادر اللاتينية المعاصرة أن هذا النصر الذي أحرزه جيش شارلمان في معركتين متلاحقتين بمثابة عقاب أنزله الله بالمسلمين لما ارتكبوه من أعمال[٣٢].

وتذكر «حوليات ملوك الفرنجة» تحت أحداث سنة ٨٠٩م/١٩٣هـ أن المسلمين رغم هزيمتهم، لم يركنوا إلي السكينة ولم يجنحوا إلي السلم. ففي هذا العام، قام مسلمو شمال إفريقية بغارة بحرية علي جزيرة سردانية. وفي نفس الوقت قام مسلمو الأندلس بشن غارة علي شواطئ جزيرة كورسيكا انتقاماً لما لحق بهم من هزيمة. ففاجأوا أهلها وذلك يوم عيد القيامة، وأسروا جموعا لا تحصي من سكانها. ولم يفلت من الأسر إلا الشيوخ العاجزون والمرضي المقعدون إضافة إلي أسقف المدينة[٣٤]. ويذكر المؤرخ الكورسيكي «Jacobi» في كتابه «تاريخ كورسيكا» Histoire de la Corse أن المسلمين نجحوا عقب نصرهم هذا في الاستقرار علي السواحل الشرقية لجزيرة كورسيكا، في موقع المدينة القديمة «أليريا» Aleria، وأن الكارولنجيين وجدوا صعوبة بالغة في إجلائهم عنها، علي الرغم من مساعدة الجزيرة لهم[٣٥].

وفي العام التالي، أي عام ٨١٠م/١٩٤هـ، لم تنعم جزيرة كورسيكا بالأمن والسلام، إذ أوردت «حوليات ملوك الفرنجة» أن المسلمين قاموا بتعبئة أسطول ضخم

---

(٣٢) وعن المصادر التي أوردت هذه الجملة أنظر: Annales Regni Francorum, P. 56, .R.H.G.F., t.V, P. Lxxviij-Lxxix 254.D., 322.C., 333.C., 354.C., 366.A., 379.E.

(٣٣) "Jaffe- Wattenbach, Regesta Pontificum Romanorum, Jusqu'a" 1198, No.2515. CF. Kleinclausz, A., Charlemagne, Paris, 1934, P.331, Pirenne, H., Mahomet Et Charlemagne, Paris, 1970, P.117.

(٣٤) Annales Regni Francorum, P.58.B.C., Chroniques de Saint Dennis, P.256.C.D., Annales Francorum Mettenses, P.355. C.D., Index Chronologicus, Seu Annales Galici et Francici in Quinbus Temporum, P. LXXX.

(٣٥) Jacobi, Histoire de la Corse, Paris, 1835, t.I, P.110

عن مفاوضات صلح بين الامبراطور الكارولنجي وخليفة قرطبة. وتذكر «حوليات ملوك الفرنجة» أنه في شهر أكتوبر من عام ٨١٠م/١٩٥هـ عاد الامبراطور شارلمان إلي عاصمته اكس لا شابل Aix-La-Chapelle حيث استقبل مبعوث الإمبراطور البيزنطي نقفور الأول (٨٠٢-٨١١م) Nicephore I فأبرم معه اتفاقية سلام، أعاد بموجبها البندقية إلي الامبراطورية البيزنطية[٣٨]. بعد ذلك استقبل مبعوث أمير قرطبة. وتطلق عليه المصادر اللاتينية والفرنسية القديمة لقب «أبولاز»[٣٩] Abulaz تارة، و«أبولاسر» Abulaser تارة ثانية، وذكرت أنه «ملك السارازان» Rex Sarracenorun. ويرجح أن مبعوث أمير قرطبة كان «يحيى بن الحكم البكري الجياني» أمير الماء في الأندلس. وقد توصل الطرفان المتصارعان إلي عقد هدنة، تعهد بموجبها الجانب الإسلامي باطلاق سراح الكونت أدمريك Adimric الذي كان قد سقط من قبل أسيراً في قبضة مسلمي الأندلس أثناء إحدي غاراتهم سالفة الذكر[٤٠].

---

(٣٨) للتفاصيل أنظر: " Lot, F., Les Destinees de L'Empire en Occident de 395 888, Paris, 1928, P.463.

(٣٩) في سنة ٢٠٦هـ/٨٢٢م توفي الحكم بن هشام، فخلفه علي العرش ابنه عبد الرحمن الثاني (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) وقد أطلق مسلمو الأندلس علي الحكم لقب «أبو العاصي» بسبب قسوته. وهذا اللقب حرفته المصادر اللاتينية والفرنسية القديمة التي تتحدث عنه إلي «أبولاز» تارة و«أبو لاسر» تارة ثانية. أنظر: Chronico Moissiacensis, Dans R.H.G.F., t.V, P.82; Index Chronologicus, Dans R.H.G.F., t.V, P.LXXXIJ; Annales Regni Francorum, Dans R.H.G.F., t.V, P.60.

(٤٠) Annales Regni Francorum, P.60.A., Chroniques de Saint Dennis, P.259.A., Adonis Chronico, Dans R.H.G.F., t. V, P.323.C., Annales Francorum Fuldenses, P.334.B., Annales Francorum Mettenses, P.356.E.E., CF., Sen'ac, PH., Musulmans Et Sarrasins, Paris, 1980, P.34.

وعلي الرغم من إبرام الهدنة الأولي، عاود الأندلسيون هجومهم علي جزيرة كورسيكا أواخر نفس العام – أي أواخر عام ٨١٠م/١٩٤هـ[٤١].

وبعد أن خرق المسلمون الهدنة الأولي، أبرمت سنة ٨١٢م/١٩٦هـ هدنة ثانية. وروي أن الحكم الأول (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) هو الذي طلب إبرامها مع شارلمان. وذكر أن مبعوثا عربيا هو «أبولاز»[٤٢] – الذي سبق أن عقد الهدنة الأولي– وصل إلي اكس لا شابل، فاستقبله الامبراطور شارلمان في بلاطه. وتوصل الطرفان إلي عقد هدنة ثانية لمدة ثلاث سنوات[٤٣].

لكن مصير هذه الهدنة لم يكن أحسن من سابقتها. فتحت أحداث نفس العام– أي عام ٨١٢م/١٩٦هـ– تذكر «حوليات ملوك الفرنجة» أن شارلمان وردت إلي سامعه أخبار حملة بحرية يعد لها مسلمو الأندلس أحسن إعداد، فاستعد لمواجهتها أحسن استعداد. وانطلقت السفن الإسلامية من الشواطئ الافريقية والأندلسية. وكان هدف المسلمين من حملتهم البحرية هذه التمهيد لفتح ايطاليا. وقد انقسم الأسطول الاسلامي إلي قسمين : أسند إلي القسم الأول منه مهمة الهجوم علي جزيرة كورسيكا، أما القسم الثاني، فقد كلف بالانقضاض علي جزيرة سردانية. إلا أن القسم الأخير لم يوفق في عملياته الحربية، إذ تمكن أهل سردانية من قتل كل من نجح من المسلمين في النزول علي شواطئ جزيرتهم. هذا عن مصير القسم الثاني من الأسطول الإسلامي، أما القسم الأول، فكان أحسن

---

(٤١) Annales Regni Francorum, P.60.A., Chroniques de Saint Dennis, P.259.B., Adonis Chronico, P.323.C., Annales Francorum Mettenses, P.356.E.; Vita Loudovici Imperatoris Caroli Magni Filii, Dans R.H.G.F.,t.VI, P.93.

(٤٢) عنه أنظر حاشية رقم ٣٩ من البحث.

(٤٣) Annales Regni Francorum, P.61.D., Chroniques de Saint Dennis, P.261.C., Annales Francorum Fuldenses, P.357.E.

حظا، إذ تمكن من النزول علي شواطئ كورسيكا، وغنم مغانم كثيرة، وسقطت في أيديهم أعداد كبيرة من الأسري، وكادت الجزيرة تسقط في قبضة المسلمين. إلا أن وصول الإمدادات العسكرية من قبل شارلمان حال دون ذلك. فاضطر المسلمون إلي الإنسحاب(٤٤).

وأخيراً، يأتي في نهاية المطاف آخر المعارك البحرية الدائرة بين المسلمين والكارولنجيين في عهد شارلمان. فقد اندلعت هذه المعركة الأخيرة سنة ٨١٣م/١٩٧هـ حين حاول المسلمون الانسحاب إلي الأندلس ويصحبتهم ما غنموا من غنائم وأسري. إذ حدث أثناء تراجعهم أن نصب لهم «إرمنجار» Ermengarius كونت «أمبورياس» Emporiatanus(٤٥) كمينا غير بعيد عن مدينة «بيربينيان»(٤٦) Perpignan الحالية. واندلعت معركة بحرية ضارية بين الأسطولين تجاه جزيرة «مايوركا» انتهت بانتصار إرمنجار واستيلائه علي ثمانية مراكب اسلامية كان علي متنها أكثر من خمسمائة أسير من سكان جزيرة كورسيكا.

وقد انتقم مسلمو الأندلس لما أصابهم من هزيمة بحرية، فقاموا باجتياح شواطئ نيس (نيقة) Nice ، وولاية بروفانس Provence ، وسواحل سيفيتة فكشيا Civita-Vecchia بالقرب من روما. ولم يكتف مسلمو الأندلس بذلك بل انقضوا علي

---

(٤٤) Index Chronologicus, Dans R.H.G.F., t.V, P.Lxxxiij; Annales Regni Francorum, P.61.D., Chroniques de Saint Dennis, P.261.C., Annales Francorum Fuldenses, P.357.E.

(٤٥) أمبورياس، عند اليونان «أمبورياي» Emporiae وهذا الأسم مأخوذ من كلمة «أمبوريون» Emporion أي سوق في اللغة اليونانية. وتسمي اليوم «امبورياس» Ampurias وتطل المدينة علي الساحل الشمال الشرقي للأندلس، شمالي برشلونة، كانت فيما مضي مركزا تجاريا كبيراً ذات أهمية بالغة، وقيل أنها مستعمرة أسسها الفوكيون Phoceens. أنظر Bouillet, M., Dictionnaire Universel D'Histoire et de Geographie, Paris, 1871, .P.602.

(٤٦) تقع علي مسافة ٨٤٩كم جنوب باريس. للتفاصيل أنظر : Bouillet, P. 1462

جزيرة سردانية كالصاعقة، وخاضوا حرباً ضروساً ضد سكانها. إلا أن الأهالي تمكنوا من ردهم علي أعقابهم (٤٧).

ومما يذكر أن حملة سنة ٨١٣م/١٩٧هـ كانت آخر الحملات الإسلامية التي عاصرها الامبراطور الكارولنجي شارلمان، إذ توفي في العام التالي، وسار خلفه لويس التقي (٨١٤-٨٤٠م) Louis Le Pieux علي سياسة آبائه العدائية نحو الأندلس، وبسط حمايته علي الجزر القريبة مثل جزيرة كورسيكا وجزيرة سردانية وجزر البليار (٤٨).

مما تقدم، يتضح أن جزيرة كورسيكا لم تنعم بالأمن والأمان طوال الفترة الممتدة من سنة ٨٠٦ إلي سنة ٨١٣م، مما حمَّل الإمبراطور شارلمان، وبتعضيد من البابا ليون الثالث، مسئولية إفشال محاولات المسلمين في فتح الجزيرة. إزاء هذا العبء العسكري الثقيل، كان علي شارلمان أن يعبئ الأساطيل القوية ويحشدها بالمقاتلين والعتاد والمؤن، وخاصة وأنه حمل علي عاتقه مسئولية حماية المسيحية والمسيحيين من تهديدات الإسلام والمسلمين - كما سبق أن أشرنا. وقد نجح بالفعل طوال عهده في حماية كورسيكا من السقوط في قبضة مسلمي الأندلس وحال بينهم وبين محاولاتهم المستميتة لتحقيق أهدافهم التوسعية علي حساب امبراطوريته.

وقبل طي صفحات هذا البحث المتواضع، وجدنا من الضروري تسليط الأضواء

---

(٤٧) Annales Regni Francorum, P. 62.B., P. 168.C., Chroniques de Saint Dennis, P.262.C., Index Chronologicus, P. Lxxxv.

وقد ورد في هذا المصدر الأخير الآتي :

" Ermengarius Comes Emporitamus in Majorica Mauris De Corsica Cum Multa Proeda Redeuntibus Insidias Ponit, Et Octo Corum Naves Capit. Quod Mauri Vindicare Volentes, Centum-Cellas Tuscioe Urbem Et Nicoeam Provincioe Narbonensis Vastant. Sardinian Quoque Agressi, A Sardis Vincuntur Et Fugantur.

(٤٨) Antonetti, P. 107

علي انعكاسات محاولات المسلمين فتح جزيرة كورسيكا، وما صاحب ذلك من تأثيرات إسلامية في الحضارة الكورسيكية، ثم إظهار النتائج الإيجابية التي كانت ثمرة من ثمرات هذا الاحتكاك الحربي.

ولقد علق المؤرخ الكورسيكي «بيتروسرنيو» Pietro Cirneo –مؤرخ القرن الخامس عشر الميلادي– في كتابه «صدي الحروب الكورسيكية» De Rebus Corsicis علي محاولات المسلمين المتكررة لفتح جزيرة كورسيكا، علق تعليقاً تفوح من بين سطوره المبالغة الواضحة والتجني البالغ علي الإسلام والمسلمين. إذ قال في هذا الصدد إن مصائب كورسيكا طوال هذه الفترة من الإغارات كانت عظيمة لا يتخيلها عقل بشر، حتي أن أحداثها الدامية المروعة علقت في أذهان السكان وتناقلوها قروناً طويلة منذ وقوعها أوائل القرن التاسع الميلادي إلي لحظة كتابته لمصنفه في القرن الخامس عشر الميلادي. ويذكر أنه علي الرغم من كونه بعيداً عن تلك الأحداث بستة قرون، إلا أن الكورسيكيين –علي حد مبالغته– لازالوا يتواترون ويتناقلون أخبار هذه الحملات الدموية المخربة، فيذكرون أنه راح ضحيتها النساء والأطفال والشباب والشيوخ؛ وأن ألسنة اللهب أتت علي المنشآت المدنية والدينية ولم تبق علي شئ يذكر. ويواصل سرده قائلاً : إن السكان انتابهم اليأس بعد أن صمدوا طويلا في مواجهة حملات المسلمين المتعاقبة، فتحطمت روحهم المعنوية، واضطروا في نهاية الأمر إلي اللجوء إلي قمم الجبال الشاهقة، والفرار إلي الغابات الكثيفة، والاختباء في أعماق الصخور هربا من تلك المذابح وحفاظا علي أرواحهم، ويصل بيترو سرنيو إلي قمة المبالغة في سرده حين ذكر أنه لم يسلم من هذه المذابح المتكررة إلا ما لايزيد عن عشر سكان الجزيرة(٤٩).

ومما لا شك فيه أن هذا الرقم يتنافي مع الحقيقة والواقع، وأن بيترو سرنيو لم يتوخ الانصاف في كتاباته، ولم يتحر الحقيقة البعيدة عن الأهواء والميول والتعصب الأعمي، فابتعد كلية عن الصفات التي يجب أن يتحلي بها كل مؤرخ منصف أمين.

---

(٤٩) Pietro Cirneo, P.113

حقيقة الأمر أنه كان من المنطقي أن يذهب ضحية محاولات المسلمين فتح الجزيرة، العديد من الأرواح البشرية من كلا الطرفين المتصارعين، وأن يلحق اقتصاد الجزيرة بعض الأضرار نتيجة اندلاع الحروب المتعاقبة.

علي أية حال، ترك المسلمون أثراً عميقاً في اللغة الكورسيكية ، إذ نجد بها الكثير من الألفاظ العربية. ومن مظاهر ذلك ظهور كلمات عربية استعملها الأهالي، منها علي سبيل المثال لا الحصر كلمة «جيارا» Giara هي نفسها كلمة «جرة» في اللغة العربية(٥٠). كذلك ترك لفظ «مور» Maures الذي أطلقته المصادر اللاتينية والفرنسية القديمة علي سكان المغرب العربي تارة، وعلي مسلمي الأندلس تارة ثانية، ترك بصماته الجلية علي اللغة الكورسيكية، فأصبح يطلق علي العديد من الأسر أسماء، مثل أسرة «مورونى» Moroni ، وأسرة «موراتي» Morati ، وأسرة «موريتي» Moretti، وأسرة «مورو» Moro وغيرها. كذلك وجد في تلك الجزيرة اسم «آل جعفر» Giafferi نسبة إلي الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه ابن محمد الباقر ابن زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين.

والملاحظ أيضاً أن العديد من المدن والمواضع في كورسيكا لازالت تحمل أسماء مشتقة من كلمة «مور» منها علي سبيل المثال «لوبيان موريسي» Le Pian Morese أي هضبة المور، و«كمبو مورو» Campomoro أي معسكر المور. ومدن عديدة أخري مثل : «موروسَجْليا» Morosaglia، و«مورسيجليا» Morsiglia ، و«ميرو» Muro ، و«موريانى» Moriani ، و«موراكيولي» Muracciole. كذلك أخذ الكورسيكيون عن المور رقصتهم الشعبية المسماة «موروسكا» Moresca(٥١). ولم ينس المور أيضاً أن يتركوا بصماتهم علي شعار هذه الجزيرة(٥٢).

---

(٥٠) Antonetti, P.110, N.32.

(٥١) Sedillot, P.52.

(٥٢) Sedillot, P. 53 .

وعلي هذا ، فإن الكلمات الباقية في اللغة الكورسيكية أو تلك التي اشتقت من كلمة «مور» قد دخلت تلك اللغة لا بطريق الاستعمار، بل بطريق الحضارة التي كثيراً ما تؤلف بين مظاهر الحياة المختلفة.

لقد تغلب المسلمون الفاتحون علي الكورسيكيين بروحهم ولغتهم وعقيدتهم حتي اعتنق كثير من الكورسيكيين الإسلام، وتقمصوا الشخصية العربية الإسلامية، وأصبحوا يدينون بمبادئ العرب المسلمين وتقاليدهم. وقد اعترف بذلك المؤرخ الكورسيكي المحدث «بيير أنتونتي» Pierre Antonetti في كتابه «تاريخ كورسيكا» Histoire de la Corse إذ قال إن دماء المسلمين اختلطت بدماء الكورسيكيين حتي أن جموعا غفيرة منهم اعتنقت الدين الإسلامي بسبب مزاياه التي لا تعد ولا تحصي، خاصة –علي حد قوله– إعفاء معتنقيه من دفع الجزية(٥٣).

إلا أن المؤرخ الفرنسي المعاصر «رينيه سيديو» Rene Sedillot– بتعصبه الأعمي كان علي نقيض رأي «بيير أنتونتي». فقد أورد في كتابه «مغامرة الكورسيكيين الكبري» La Grande Aventure des Corses «أن المسلمين لم يتركوا في جزيرة كورسيكا أي أثر لمسجد(٥٤). وأرجع سبب ذلك إلي أن الإسلام لم يقبل عليه أحد من سكان الجزيرة». وفي رأيه هذا تناقض واضح مع رأي «بيير أنتونتي». الذي كان أكثر إنصافا للإسلام في تأريخه لبني جنسه.

أما «كزافييه بولي» Xavier Poli، فقد حرص علي أن يعرض المثالب المنسوبة – عن طريق الخطأ المتعمد– للإسلام والمسلمين. وتلك كانت السمة السائدة والتقليدية في كتابات مؤرخي العصور الوسطي في الغرب الأوربي، وقلة قليلة من المؤرخين المعاصرين البعيدين عن الإنصاف والمنساقين وراء تعصبهم الأعمي.

---

(٥٣) Antonetti, P.109

(٥٤) Sedillot, P.52

يزي «كزافييه بولي» في كتابه «كورسيكا في العصور القديمة والوسطي» La Corse dans L'Antiquite et le Moyen Age أن عملية التزاوج بين العنصرين الإسلامي والكورسيكي كان من بين ثمارها -علي حد ادعائه- أن ورث الكورسيكيون عن المسلمين بعض العادات والتقاليد السيئة؛ منها علي سبيل المثال تحول سكان الجزيرة إلي قوم غلاظ القلوب . إضافة إلي ذلك أخذوا يميزون ويفرقون بين الكائنات البشرية(٥٥). وفي هذا القول الكثير من الإجحاف والبعد عن الحقيقة والواقع. فالإسلام قائم علي الرحمة والعدل والمساواة بين كافة البشر. وفي آياته البينات ما يؤكد ويفند هذه المزاعم الظالمة.

وأخيراً ، لم يكن «كازانوفا» S.B.Casanova - المؤرخ الكنسي- أقل تعصبا وحقدا علي الإسلام من «رينيه سيديو» و«كزافييه بولي» فقد أورد في كتابه «تاريخ الكنيسة الكورسيكية» Histoire de L'Eglise Corse أن سكان الجزيرة أخذوا عن المسلمين حب الأخذ بالثأر ، والتعطش لسفك الدماء، والقسوة، وشراسة الطبع، والحقد علي بعضهم البعض، وضيق الأفق، وكراهية العمل الزراعي، واحتقار المرأة، وكثرة البكاء والنحيب علي الموتي(٥٦). علما بأن كل هذه الصفات السيئة والمنتقاه لاتمت للإسلام والمسلمين بصلة، وإنما ابتدعها «كازانوفا» من خياله للنيل من الإسلام.

ومن غرائب الأمور أن نعثر في مصنف «رينيه سيديو» علي نص يدافع فيه بطريقة عفوية لا شعورية عن بعض هذه العادات والتقاليد السيئة التي قيل إن الكورسيكيين ورثوها عن المسلمين بفعل اختلاطهم بهم. فقد أرجع «سيديو» القسوة وشراسة الطبع إلي تأثير البيئة الجبلية التي يعيش في كنفها سكان «جزيرة الجمال»(٥٧).

---

(٥٥) Xavier Poli, P. 77-78 ; Gregori, J., Nouvelle Histoire de la Corse, P. 19-20

(٥٦) Ca sanova,S.B., Histoire de L'Eglise Corse, P. 28-29

(٥٧) Sedillot, P. 52

أما عن القول من ان الكورسيكيين أخذوا عن المسلمين حب الأخذ بالثأر، فهذا بدوره زعم باطل. ويؤكد ذلك ان الفيلسوف سنيكا (٣١-٦٥م) Seneka الذي ولد في قرطبة سنة ٣م. والذي نفاه الامبراطور الروماني كلوديوس (٤١-٥٤م) Claudius إلي جزيرة كورسيكا وذلك سنة ٤١م حيث أمضي فيها ثمانية أعوام(٥٨)، ذكر في أحد مصنفاته وعنوانه «عن الغضب» De Ira أن سكان الجزيرة يتميزون بصفات وعادات أربع «أولهما: حب الأخذ بالثأر؛ ثانيهما: إقدامهم علي أعمال السلب والنهب والإغتصاب؛ ثالثها: الكذب؛ رابعها: إنكار وجود الآلهة»(٥٩).

هكذا كان فيلسوف القرن الأول الميلادي الذي عايش الكورسيكيين، خير من فند الكثير من الإدعاءات الظالمة التي نسبت عمداً للمسلمين للنيل منهم ومن حضارتهم المزدهرة آنذاك.

ختام القول، هذه هي صفحات مجيدة، كانت من قبل مجهولة، تتناول جانباً من جوانب أمجاد المسلمين العديدة التي تدعو إلي الفخر والإعتزاز.

---

(٥٨) لمزيد من التفاصيل أنظر: Bouillet, P. 1745

(٥٩) عن هذا قال سنيكا: "Prima est Ulcisci Lex, Altera Vivere Raptu, Tertia Mentiri, Quarta Negare Deos" Seneca, De Ira, London, 1958, P.140.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

أ - المصادر الأجنبية

ب- المصادر الإسلامية

ثانيا - المراجع الثانوية

أ - المراجع الأجنبية

ب- المراجع العربية والمعربة

أولا : المصـــادر
أ - المصادر الأجنبية

* ALCUIN., VITA CAROLI, TRAD.,
LOUIS HALPHEN, PARIS, 1912.

* ANNALES FRANCORUM FULDENSES,
DANS R.H.G.F., t. V, PARIS, 1869.

* ANNALES FRANCORUM METTENSES,
DANS R.H.G.F., t. V, PARIS, 1869.

* ANNALES REGNI FRANCORUM,
DANS R.H.G.F., t. V, PARIS, 1869.

* CAPITULARIA REGUM FRANCORUM,
t. I, HANOVRE, 1897

* CHRONIQUE D'ADOM,
DANS R.H.G.F., t. V, PARIS, 1869.

* CHRONIQUE DE MOISSAC,
DANS R.H.G.F., t. V, PARIS, 1869.

* CHRONIQUES DE SAINT DENNIS,
DANS R.H.G.F., t. V, PARIS, 1869.

* CIRNEO, P., DE REBUS CORSICIS,
ED., GREGORY, PARIS, 1834.

* EGINHARD, VITA LOUDOVICI IMPERATORIS CAROLI MAGNI FILII, . DANS R.H.G.F., t. V, PARIS, 1869.

* INDEX CHRONOLOGICUS, SEU ANNALES GALICI ET FRANCICI IN QUINBUS TEMPORUM, t. V, PARIS, 1869.

* JAFFE - WATTENBACH, REGESTA PONTIFICUM ROMANORUM, JUSQU'A 1198, PARIS, 1912.

* LIBER PONTIFICALIS, PUBL. PAR L. DUCHESNE, PARIS, 1892.

* SENEKA, L., DE IRA, LONDON, 1958.

* VITA ET CONVERSIO GLORIOSISSIMI IMPERATORIS KAROLI REGIS MAGNI , DANS R.H.G.F., t. V, PARIS, 1869.

ب- المصادر الإسلامية

* ابن سعيد المغربي (٦١٠-٦٨٥هـ/١٢١٤-١٢٨٦م) :
أبو الحسن علي بن موسي بن سعيد المغربي :
- «كتاب الجغرافيا» -تحقيق اسماعيل العربي- الجزائر ١٩٨٢.

* الإدريسي (ت ٥٤٨هـ/١١٥٤م) أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الله بن إدريس:
- «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» -القاهرة (د.ت).

* البغدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق :
- «مراصد الاطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع» -٣ أجزاء - تحقيق علي محمد البجاوي- القاهرة ١٩٥٤م.

* الحميري (توفي حوالي ٧١٠هـ/ ١٣١٠م) أبو عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي :
- «الروض المعطار في خبر الأقطار» -تحقيق إحسان عباس- بيروت ١٩٨٤م.

* خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة :
- «تاريخ خليفة بن خياط» -تحقيق أكرم ضياء العمري- الرياض ١٩٨٥م.

ثانيا : المراجـع

أ - المراجع الأجنبية

* ALBITRECCIA, A., LA CORSE DANS L'HISTOIRE, PARIS, 1939.

* AMBROSI, A., HISTOIRE DES CORSES ET DE LEUR CIVILISATION, BASTIA, 1914.

* ANTONETTI, P., HISTOIRE DE LA CORSE, PARIS, 1973.

* BAUDUIN-ALBERGNIE, J., LA CORSE DANS LES TEXTES LATINS, AIX, 1967.

* BAYET, CH., L'ELECTION DE LEON III, LYON, 1883.

* BOUILLET, M., DICTIONNAIRE UNIVERSEL D'HISTOIRE ET DE GEOGRAPHIE, PARIS, 1871.

* CASANOVA, S.B., HISTOIRE DE L'EGLISE CORSE, PARIS, 1955.

* CHELINI, J., HISTOIRE RELIGIEUSE DE L'OCCIDENT MEDIEVAL, PARIS, 1968.

* GREGORI, J., NOUVELLE HISTOIRE DE LA CORSE, PARIS, 1950.

* HALPHEN, L., CHARLEMAGNE ET L'EMPIRE CAROLINGIEN, PARIS, 1968.

* JACOBI, L., HISTOIRE DE LA CORSE, PARIS, 1935.

* JEHASSE, J.,
1- HISTOIRE DE LA CORSE, PARIS, 1971.
2- ALERIA GRECQUE ET ROMAINE, DANS REVUE D'ETUDES CORSES, PARIS, 1961.

KLEINCLAUSZ, A., CHARLEMAGNE, PARIS, 1934.

LILIU, G., LA SARDAIGNE, PARIS, 1969.

LOT, F., LES DESTINEES DE L'EMPIRE EN OCCIDENT DE 395 A 888, PARIS, 1928.

MANSUELLI, G.A., LES CIVILISATIONS DE L'EUROPE ANCIENNE, PARIS, 1967.

PIRENNE, H., MAHOMET ET CHARLEMAGNE, PARIS, 1970.

POLI, X., LA CORSE DANS L'ANTIQUITE ET LE MOYEN AGE, PARIS, 1948.

REINAUD M., INVASIONS DES SARRASINS EN FRANCE, EN SAVOIE, EN PIEMONT ET DANS LA SUISSE, PARIS, 1964.

RICHE, P., LES INVASIONS BARBARES, PARIS, 1968.

RONDEAU, A., LA CORSE, COLIN, 1964.

SEDILLOT, R., LA GRANDE AVENTURE DES CORSES PARIS, 1969.

* SENAC, PH., MUSULMANS ET SARRASINS DANS LE SUD DE LA GAULE DU VIII^{e} AU XI^{e} SISCLE, PARIS, 1980.

* TESSIER, A., LA CORRESPONDANCE DE CHARLEMAGNE, PARIS, 1960.

ب- المراجع العربية والمعربة

* أرشيبالد لويس : «القوي البحرية في حوض البحر المتوسط»- ترجمة أحمد محمد عيسي- القاهرة ، ١٩٦٠.

* حسن حسني عبد الوهاب : «قصة قوصرة العربية» - المجلة التاريخية المصرية- أكتوبر ١٩٤٩.

المحتويات

رقم الصفحة

* المقدمة	٣
* كورسيكا قبل المحاولات الإسلامية لفتحها	٧
* أخبار الفتوحات الاسلامية لكورسيكا في المصادر الإسلامية	١٢
* حملات المسلمين الأولي علي الجزيرة	١٤
* أهمية حوليات ملوك الفرنجة لتتبع حملات المسلمين	١٤
* أهداف المسلمين من فتح الجزيرة	١٥
* استنجاد أهالي كورسيكا بشارلمان	١٦
* استعدادات شارلمان الدفاعية	١٦
* ازدياد قوة البحرية الاسلامية	١٦
* ضعف البحرية البيزنطية	١٩
* حملة الاسطول الأندلسي علي كورسيكا سنة ٨٠٦م/١٩٠هـ	٢٠
* حملة شارلمان البحرية سنة ٨٠٧م/١٩١هـ	٢٢
* هجوم أندلس بحري سنة ٨٠٩م/١٩٣هـ	٢٢
* حملة بحرية إسلامية سنة ٨١٠م/١٩٤هـ	٢٣
* استعدادات شارلمان الدفاعية	٢٤
* الهدنة الأولي سنة ٨١٠م/١٩٣هـ	٢٥
* الخرق الإسلامي للهدنة الأولي أواخر عام ٨١٠م/١٩٤هـ	٢٦
* الهدنة الثانية سنة ٨١٢م/١٩٦هـ	٢٦
* الخرق الاسلامي للهدنة الثانية سنة ٨١٢م/١٩٦هـ	٢٦
* حملة ٨١٣م/١٩٧هـ آخر المعارك البحرية في عهد شارلمان	٢٧
* التأثيرات الإسلامية في الحضارة الكورسيكية	٢٨
* خاتمة	٣٠
* الخرائط :	
١- جزيرة كورسيكا في القرن التاسع الميلادي	٩
٢-غرب البحر المتوسط في عهد شارلمان	١٧

تابع : المحتويات

رقم الصفحة

* قائمة المصادر والمراجع ٣٥
أولا : المصادر : ٣٥
أ - المصادر الأجنبية ٣٧
ب- المصادر الإسلامية ٣٩
ثانيا: المراجع : ٤٠
أ - المراجع الأجنبية ٤٠
ب- المراجع العربية والمعربة ٤٢

رفع

أحمد عبد الفتاح حسين

